وادي الأشباح

نشوان زيد علي عنتر

النبراس
للطباعة و النشر

وادي الأشباح

(رواية)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٢م

النبراس
للطباعة و النشر

صنعاء

الإهداء :

إلى قارة غورانيا أو أمريكا اللاتينية حبي القديم

منذ الطفولة

..... المؤلف

(١)

ظل أعضاء فريق المتسلقين التطوعي و معظمهم من السياح الأجانب من كافة البلدان يرددون نفس الكلمة بعدما إنهارت قوامهم و هم في طريقهم إلى جبل سانتو ميناس أعلى جبل في سلسلة الأنديز البوليفية دون أن تثني عزيمة مرشدهم السياحي الذي إندهشوا من صلابته و إرادته الحديدية لمواصلة هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر إلى هناك ، كيف لا و هو إبن المنطقة المذكورة سلفا و يحفظ كل شبر فيها مذكان في العاشرة من عمره عكسهم تماما بعدما

إنقطعت أنفاسهم مرارا و تكرارا خلال صعودهم المضني إلى قمة الجبل ، فماركوس كالديرا تملؤه الحماسة دوما حينما يصعد إليه و بصحبته فوج سياحي أجنبي دون كلل أو ملل أو مبالاة بتذمر أفرادهم الذين لم يعودوا قادرين على التحمل كهيلغا براون لحظة وقوعها على الأرض تلهث كثيرا من شدة التعب قبل أن يمسكها زوجها جوهان :

(آه ، لقد تعبت)

(ما الأمر يا سيدتي ؟ لم يبق إلا القليل و سنصل إلى قمة الجبل ، ينبغي أن نصمد قليلا)

(تقصد الكثير ، ما حكايتك يا هذا ؟ هل تحتال علينا ؟)

(أحتال عليكم ؟! فيما ؟!!)

(هل تستخف بنا يا هذا ؟! منذ إنطلقت رحلتنا إلى جبال الأنديز و نحن نخوض معك خوض ثيران معصوبة العيون وراء سيدها مسالك و ممرات بالغة الوعورة لم نعتد عليها البتة و لانعرف نهايتها بعد مستغلا جهلنا بطبيعة بلدك القاسية ، و لم نر منك سوى كلمة واحدة فقط (لم يبق إلا القليل .... لم يبق إلا القليل)

(أولا يا آنسة هيلغا ، رجاء لا تناديني بعبارة يا هذا ، فأنا لدي إسم و كنية ،

مـــاركوس كالـــديرا ، و إن كنـــت تـــأنفين مـــن ذكـــر إســـمي فنـــاديني بعبـــارة دليـــل الفـــوج الســـياحي ، ثانيـــا هـــذه المنطقـــة هـــي مســـقط رأســـي حيـــث ولـــدت و ترعرعـــت فيهـــا ، لـــذا أعـــرف كافـــة المســـالك و الـــدروب فيهـــا جيدا ، ثالثا ....)

(هييـــه ! لـــم أطلـــب منـــك أن تـــروي لـــي قصـــة حياتك أمامي)

(إذن ماذا تريدين ؟)

(أريـــد أن أعـــرف ، هـــل بتنـــا قـــريبين فعـــلا مـــن جبل سانتو ميناس ؟)

(لقـــد قـــال لـــك يـــا عزيزتـــي قبـــل قليـــل بأننـــا سنصل ....)

(لـــو ســـمحت يـــا جوهـــان ، لا تقـــاطعني ، و إذا كنـــا قـــريبين فعـــلا مـــن هنـــاك فمتـــى سنصـــل ؟ لقـــد تعبـــت ، قـــدماي لـــم تعـــودا قـــادرتين علـــى الحـــراك و بـــدأ نفســـي يضـــيق كثيـــرا جـــراء المنـــاخ القاســـي المتقلـــب بـــين الحـــرارة و البـــاردة فـــي هـــذه المنطقـــة التـــي جبالهـــا شـــديدة الوعـــورة و الإنحـــدار إلـــى حـــد لا يطاق لم نعهدها من قبل .....)

(و هل هي أشد وعورة و إنحدارا و مناخها أسوأ من جبال الألب الثلجية في بلدك المانيا ؟ سيما أنك أتيت من هناك)

(..... ؟)

(لـــم ســـكت ؟ هـــل إندهشـــت بمعرفتـــي الواســعة بجغرافيــا العــالم رغــم أننــي لــم أكمــل دراســـتي الجامعيـــة بعـــد ؟ أم أنـــك تصـــطنعين الإرهاق أمامنا ؟)

(يكفــي يــا ســيد مــاركوس ، هــذا لــيس وقــت الشجار ...)

(زوجتـــك هـــي مـــن بـــدأت الشـــجار و إصـــطناع التعـــب الإرهـــاق لتعطيـــل رحلتنـــا ، مـــع العلـــم أن الجميـــع لـــم يشـــتكوا أصـــلا منها)

(غيـــر صـــحيح ، إن هيلغـــا مرهقـــة للغايـــة ، لأنها لم تتناول إفطارها بعد)

(لم تتناول إفطارها بعد ؟! ألم تذهبوا إلى مطعم البلدة قبيل الرحلة كما أخبرتموني من قبل ؟!)

(بلى ، لكن عندما رأينا أصناف الطعام المقدم فيه و لاسيما السنجاب المشوي إضطررنا لتناول القليل منها دون أن تشبع جوعنا)

(أوه لا ، كان عليكم أن تعلموني بهذا ، ما كان ينبغي أن تسكتوا على أمر كهذا)

(نحن متأسفون)

(أنا الذي يجب أن أعتذر منكم ، الخطأ خطأي أنا ، كان علي أن أهتم بكم و

بإحتياجـــاتكم اللازمـــة مـــن زاد و شـــراب و ثياب قبل أن نبدأ الرحلة ، سامحوني)

(لا عليك يا ماركوس)

(حســـنا ، هنـــاك كـــوخ حجـــري مخصـــص لمتســـلقي الجبـــال المحليـــين علـــي يمينـــي خلـــف أشـــجار الســـرو تلـــك ، إنـــه منـــزل عـــائلتي حيـــث أقطـــن فيـــه ، ســـنرتاح و نتنـــاول الطعـــام فيـــه اليـــوم و غـــدا نواصـــل المســـير ، إتفقنا ؟)

رد الجميـــــع عليـــــه بالموافقـــــة بإيمـــــاءات متكاســـلة مـــن وجـــوههم المرهقـــة ، بمـــن فـــيهم هيلغـــا التـــي حملهـــا علـــى كتفـــه بعـــون مـــن جوهـــان ، و بشـــق الأنفـــس وصـــلوا إلـــى عتبـــة

الـــدار ليفـــتح مـــاركوس البـــاب و يـــدخلهم إلـــى غرفـــة المعيشـــة المجـــاورة لـــه قبـــل أن يفاجـــأ بإرتمـــائهم فـــي أحضـــان مقاعـــدها المهترئـــة منـــذ شـــهور و دون تنجيـــد كمـــا يبـــدو رافعـــا بصره صوب جوهان :

(يبـــدو أن زوجتـــك ليســـت الوحيـــدة التـــي أهلكها الجوع و الإرهاق)

و ســـرعان مـــا نســـي أمـــرهم و رافـــق جوهـــان و هيلغـــا إلـــى إحـــدى الغـــرف الثمانيـــة لكـــي يريحـــا الأخيـــران جســـديهما مـــن عنـــاء الرحلـــة و يمتـــدا علـــى الســـرير الصـــغير دون أن يتـــأثرا بخشـــونة ملاءتـــه الممزقـــة أو ينبســـوا بـــأدنى شـــفه أمامـــه و هـــو فـــي حالـــة إســـتغراب و

حيــرة ممــا رآه للتــو ، و فجــأة تتســع عينــاه إلــى حــد الجحــوظ فزعــا و حــذرا لحظــة التفاتــه إلــى الــوراء حينمــا رأى شــيئا أســودا مــر بجانــب الغرفــة دفعتــه إلــى الخــروج منهــا للحــاق بــه ثــم مــا لبــث أن توقــف بعــدما تبخــر وجــوده بســرعة الــريح مخلفــا وراءه هالــة ضــبابية زرقــاء ذات إضــاءة خافتــة جعلتــه فــي حالة ذهول و دهشة ممزوجة بالرعب :

(لا أصدق ، هل عادوا مجددا ؟!)

ظــل متجمــدا فــي مكانــه لــدقائق معــدودة ثــم مــا لبــث أن إســتفاق مــن شــروده المفــاجئ ليتجــه إلــى بقيــة الفــوج ناســيا أو متناســيا مــا حدث سلفا إلى أجل مسمى .

(٢)

سرعان ما غط الجميع في نوم عميق بعد وجبة عشاء دسمة من الأكل الجبلي التقليدي الذي أعده ماركوس في تلك الليلة المريبة بالنسبة له حيث لم تجعله ينم ملء جفونه تماما ، فمازال يتوجس خيفة مما رأه من خيال أشباح قبل قليل ظن فيما مضى أنهن قد إختفين بعد وفاة والده أنطونيو بأربع سنوات مضت ، و ما زاد من مخاوفه أكثر أن يعلم السياح بذلك الأمر الجلل بالنسبة له و يسبر أحدهم سره الدفين في قلوب أهل الجبل القاطن فيه جيلا بعد جيل حيث لم يجرؤ

أحـــد مـــنهم ذكـــورا و إناثـــا علـــى إفشـــائه و كشـــف مكنوناتـــه للغربـــاء عـــنهم بمـــن فـــيهم أذكـــى الإســـتخبارات الدوليـــة و المحليـــة لـــم تفلـــح فـــي إختـــراق حصـــنه المنيـــع إلـــى وقتنـــا الحاضـــر ، لكنـــه قلـــل مـــن شـــأن خطـــرهم عليـــه حيـــال كشـــفهم لـــه إعتقـــاد منـــه بعـــدم إهتمـــام ثلـــة مـــن الأجانـــب الغربـــاء الـــذين لا يفقهـــون شـــيئا فـــي أســـرار بلـــده و أســـرته و أســـاطيرها الغامضـــة حيـــث لا هـــم لهـــم ســـوى الإســـتمتاع بمناظرهـــا الخلابـــة و طبيعتهـــا الـــوعرة المثيـــرة للتحدي و المحفزة لروح المغامرة فيهم .

و مـــا إن حـــاول النـــوم حتـــى يوقـــف عجلـــة التفكيـــر و القلـــق الـــدائرة فـــي عقلـــه تمامـــا

حتى تبخر نعاسه بالمرة على وقع صراخ مرعب من الغرفة المجاورة صادر هيلغا كالعادة :

(النجدة ! أنقذوني من هؤلاء يا جماعة ، جوهان ، ماركوس)

(ما الأمر يا حبيبتي ..... يا إلهي من هؤلاء ؟ إنهم أشباح !!! إبتعدوا)

ما إن سمع ماركوس هذه الكلمة حتى إنطلق كالرصاصة لتدارك ما أمكن تداركه و لا سيما بعدما رأى الفوج يصطفون صفا واحدا يسرى الرعب المقيم أجسادهم المرتعشة إرتعاشة طفل بعد الإستحمام من رؤوسهم حتى أخماص أقدامهم رجالا و

نســـاء و هـــم يتـــأملون الأشـــباح الســـبعة المتمثلـــة بأشـــكال بشـــرية ســـوية و حواجـــب ســـميكة مخيفـــة تعلـــو عيـــون بمقـــل كبيـــرة حجمهـــا بحجـــم كـــرة بولينـــغ ســـوداء يلمســـون أرجـــاء أجســـادهم يتمتمـــون بلغـــة غريبـــة لا يفهموهـــا حـــاملا معـــه قنينـــة حديديـــة مليئـــة بنـــوع مـــن الملـــح المحلـــي الممـــزوج بزيـــت اللامـــا يـــرش منـــه بكميـــات متتابعـــة علـــيهم حتى إبتعدوا عنهم و حاموا حوله :

(إبتعدوا ، هيا إبتعدوا)

(لـــن نبتعـــد حتـــى تســـدد آخـــر ديونـــك يـــا ماركوس)

(أيـــة ديـــون أيتهـــا الأشـــباح اللعينـــة ؟ أمـــا كفـــاكم مـــا صـــنعتموه بعـــائلتي و قريتـــي ؟ هـــذه ديـــونكم يجـــب أن تســـددوها أمـــام إلـــه النـــار الأعظم الدب الواقف)

(الـــدب الواقـــف لـــيس راض عنـــا بســـببك يـــا ماركوس)

(إبتعدوا جميعا ، هيا)

لـــم تســـتطع الأشـــباح الســـبعة الإقتـــراب منـــه بســـبب قنينتـــه الســـحرية لكـــنهم نفخـــوا نفخـــة جماعيـــة واحـــدة بقـــوة إعصـــار لـــولبي جعلتـــه يرتمـــي علـــى الحـــائط و يســـقط علـــى الأرض مغشـــيا عليـــه ليتركـــوه و يرحلـــوا مـــع بـــزوغ الأنـــوار الأولـــى لفجـــر يـــوم جديـــد منطلقـــة مـــن

جبـــل ســـانتو مينـــاس الأبـــيض الشـــديد الزرقـــة .

وجـــد مـــاركوس نفســـه ممـــددا علـــى الســـرير ، و عنـــدما حـــاول الحـــراك عـــاوده الألـــم فـــي رأســـه و ظهـــره المضـــمدان بضـــمادات طبيـــة عملهـــا جوهـــان ، ســـيما و أنـــه رأى الفـــوج يحيطـــون مـــن حولـــه بعيـــون ملؤهـــا القلـــق عليـــه و الإســـتغراب منـــه ، فـــإقترب جوهـــان منـــه ليرفعـــه و يضـــع الوســـادة علـــى ظهـــره بشـــكل سليم :

(حمدا لله على سلامتك يا ماركوس)

(شكرا لك جوهان)

(لا شـــكر علـــى واجـــب ، كـــان علـــي أن أفعــل ذلــك بعــد قتالــك الجســور ضــد هــذه الأشــباح المخيفــة التــي لــم نــر لهــا مثــيلا مــن قبل)

(هـــذا إذا كانـــت أشـــباحا حقيقيـــة أم مـــن صنع يديك ....)

(هيلغا ؟!!! كفى ؟!!!!)

(ماذا جوهان ؟!!!)

(هذا ليس وقته الآن ، الرجل مريض للغاية)

(متـــى وقتـــه إذن يـــا جوهـــان ؟ قـــدماي لـــم تعــودا قــادرتين علــى الحركــة و كــدت أمــوت مـــن الرعـــب مـــن هـــول مـــا رأيـــت ، و الآن

تطلب مني أن أغض الطرف عن ما جرى ؟)

(نعم يا هيلغا ، و أمحيه من ذاكرتك تماما و كأن شيئا لم يكن)

(لكن جوهان ، أريد فقط تفسيرا لما جرى ....)

(هيلغا ....)

(على رسلك سيد جوهان ، السيدة هيلغا محقة فيما قالته ، آن الآوان أن أفسر لها ما حدث ، سيما و أنها فهمت الموضوع بشكل خاطئ و تظن أنه من تدبيري ، و لا تعلم بأنني أعاني منه منذ عشرين عاما)

(٢٠ سنة ؟!!!)

(نعم سيدة هيلغا ، إنه موضوع معقد نوعا ما ، فهذه الأشباح حقيقية و مازالت تلاحق سلالتنا جيلا إثر جيل ، فنصفها أرواح بشرية و النصف الآخر أشباح خيالية)

إسترسل ماركوس في الكلام أمام الجميع رغم أوجاعه و الآمه المبرحة مما جرى حيث سرعان ما وجد الفرصة سانحة أخيرا لتنصل من السر الذي كبل روحه لعقود طوال ليفضي به و يخرجه من مكنون قلبه المسجون في قمقمه الصدري حيث لم يعد جسده الضئيل قادرا على إحتضانه

بمفـــرده و تحمـــل وجـــوده الطـــاغي الـــذي يـــذيب جبـــالا بأكملهـــا داخـــل غياهبـــه الرثـــة ، كيـــف لا و قـــد أضـــحى هـــذا الســـر العظـــيم ميراثـــا تداولـــه ســـكان جبـــل ســـانتو مينـــاس ســـليلو الأنكـــا القـــابعين فـــي تلالـــه الحـــادة الـــوعرة ردحـــا مـــن الـــزمن تعـــدى صـــداه إلـــى أرجـــاء الـــديار البوليفيـــة قاطبـــة ليشـــكل قـــدرا محتوما لأهلها حتى يومنا هذا .

فمـــاركوس إبـــن وحيـــد لأنطونيـــو كالـــديرا و حفيـــد بلبـــاو كالـــديرا بطـــل هـــذا الســـر الـــدفين الـــذي ظـــل يســـتمع مـــرارا و تكـــرارا لأحاديـــث جـــده الطويلـــة و المملـــة بعـــدما أصـــابه الخـــرف منـــذ بلوغـــه ســـن التســـعين و تركـــوه

منعـزلا وحيـدا قابعـا فـي غرفتـه المشـرفة علـى حديقـة المنـزل المزدانـة بكافـة الأزهـار و الأشـجار التـي زرعهـا بنفسـه و تحمـل فـي طياتهـا ركنـا أساسـيا فـي تلـك الأحاديـث المسـلية لنفسـه و تـذكر بالـذي مضـى ، و مـاركوس كـأي طفـل فـي مرحلـة الطفولـة مـتعطش للإهتمـام مـن الأخـرين و الإسـتماع للقصـص المرويـة مـن قـبلهم و تقليـد تصـرفاتهم و نمـط حيـاتهم سـلبا أم إيجابا .

فجـده الأكبـر ديلارويـا أو الـدب الواقـف كمـا ينسـج أهـل القريـة عنـه مـن أسـاطير و حكايـات شـيخهم و طبيـبهم و قاضـيهم

الوحيد الذي يفصل بينهم في المنازعات خلال فترة الإحتلال الإسباني ، بل إنه كان يحظى بمكانة مقدسة لديهم تجعلهم يقدسون الآلهة التي مازال يعبدها و ورثها عن أجداده الأنكا رغم فرض المسيحية عليهم بالقوة من قبل الغزاة الجدد القادمين من القارة العجوز ، إضافة إلى أنه كان راوي ملامحهم الشعبية و التي يحكيها لهم ليلا كل جمعة حيث يتجمع سكان القرية و القرى المجاورة لحظة رؤيتهم بصيص ضوء النار المشتعلة من أعلى قمة الجبل من حوله ليروي لهم حكايات و أمجاد أسلافه الأنكا و

معـــاركهم البطوليـــة ضـــد أكلـــي الـــذهب كمـــا كـــانوا يطلقونـــه علـــى الإســـبان لشـــدة نهمهـــم الشـــديد لبريـــق المعـــدن الأصـــفر الـــذي كـــان يخلـــب ألبـــابهم حـــين رؤيـــتهم لـــه ، مـــا أثـــار مخـــاوف الأخيـــر منـــه و مـــن شـــعبيته الهائلـــة لـــدى الســـكان الأصـــليين فـــي المنطقـــة مـــا إذا إســـتغلها ضـــد نفـــوذهم السياســـي و الـــديني علـــى الـــبلاد ســـيما و أنهـــم حـــاولوا القـــبض عليـــه مـــرارا و تكـــرارا لكـــن صـــعوبة القتـــال فـــي الأنـــديز و دهـــاء الشـــيخ الغـــوراني العجـــوز جعلـــتهم يهزمـــون أمامـــه هزيمـــة مفجعـــة تســـبب بمقتـــل خمســـة آلاف جنـــدي مـــنهم فـــي معركـــة الـــوادي العميـــق عـــام ١٧٧٩م

ليصبح الأول على إثرها رمزا للثورة و المقاومة بعدما دوى صدى إنتصاره العريض أرجاء المعمورة و تجاوزت حدود بوليفيا صوب بيرو و تشيلي و البرازيل حيث ظل الناس هناك ينسجون الأساطير حوله و يسبغون عليه صفات الألوهية و القدرات الخارقة مدة عقد كامل أرعبت القادة الإسبان و على رأسهم الجنرال أنجيل بولينزو الذي أضحى عاجزا أمام قوة هذا العجوز الخرافية دون أن يجد تفسيرا مقنعا لذلك أو منفذا واحدا لزحزحته كما عبر عنه خلال ترأسه إجتماع لقادة وحدات جيشه الفضي[1] في مقره

[1] لقب الجيش الاسباني خلال الفتوحات الاسبانية في امريكا الجنوبية ابان القرن السادس عشر الميلادي أطلقه السكان

الرئيسي بالعاصمة لاباز (ما حدث في الوادي العميق لا يقبله لا عقل و لا إنسان ، شخص واحد بأربعين مقاتل يحملون رماحا بدائية و مسدسات رديئة ينتصرون على جيش أكبر إمبراطورية في اوروبا آنذاك ، أنا لا أصدق هذا ، و لما لا أصدق ؟! ما رأيته قبل قليل كان حقيقة دامغة و ليس ضربا من الخيال ، لأول مرة أعترف بهزيمتي أمام هذا الرجل الشحاذ ، أنا الجنرال أنجيل بولينزو حفيد سلاطين بنو الأحمر الذين أخضعوا جبال

الاصليين للقارة لارتدائهم دروع عسكرية فضية اللون (المؤلف) .

البشـــارات[٢] فـــي العصـــور الوســـطى أنهـــزم أمـــام رجل كهذا ؟ كيف ؟)

(لا أعرف يا سيدي)

(إذا كنـــت لا تعـــرف كـــارميلو فلمـــا تجلـــس هنا ؟)

(أنا أسف ، لن أكررها يا سيدي)

(حسنا ، هناك سر وراء هذا الرجل)

(حســـب معلوماتنـــا المستفيضـــة عنـــه فهـــذا الرجـــل مهـــاب المكانـــة و كلمتـــه مســـموعة و لـــه كرامـــات تجعـــل الســـكان يطيعـــوه طاعـــة عمياء)

[٢] يقصد جبال السييرا نيفادا الواقعة في مدينة غرناطة باقليم الأندلس في اسبانيا و تعني جبال البشارات بالإسبانية (المؤلف) .

(أتريـــدني أن أصـــدق هـــذا الهـــراء أيهـــا الجنـــدي الأحمـــق ؟ منـــذ متـــى هـــذه الأمـــور التافهـــة تعتبـــر عنصـــرا مهمـــا لنشـــوء قيـــادة محنكة ؟)

(دعـــه يكمـــل يـــا كـــارميلو ، تـــابع أيهـــا الجندي)

(و حســـب معلوماتنـــا أيضـــا ، أن هـــذا الرجـــل مهـــووس بالأســـاطير و العـــادات و التقاليـــد و الإمتثـــال لهـــا حتـــى و لـــو كانـــت سلبية .....)

(ألـم أقـل لـك يـا جنـرال ؟ أن هـذه الجنـدي أحمـق و كـل مـا يخبرنـا للتـو عـن الرجـل كلها محض ترهات و أباطيل ؟)

(آســـف يـــا ســـيدي القائـــد كـــارميلو ، لكـــن هـــذا مـــا حصـــلنا عليـــه مـــن معلومـــات مهمـــة عن الرجل حسب علمنا)

(عـــدت إلـــى الهـــراء مجـــددا أيهـــا الجنـــدي ؟)

(صـــمتا يـــا كـــارميلو ؟ مـــاذا تعنـــي بإمتثالـــه الأعمـــى للعـــادات و التقاليـــد حتـــى و لـــو كانت سلبية ؟)

(أعنـــى و حســـب معلوماتنـــا الحاليـــة ، بأنـــه يخضـــع للعـــادات و التقاليـــد الحســـنة و السيئة على حد سواء)

(و مـــا هـــي أبـــرز العـــادات و التقاليـــد الســـيئة و السلبية التي يخضع لها ؟)

(حسب علمنا أنه يخضع لأسطورة الأشباح السبعة)

(ما هي أسطورة الأشباح السبعة تلك ؟)

(إنها أسطورة غورانية متداولة في أرجاء بوليفيا تدور حول ألهة الشر التي تطارد رب الخير النسر الذهبي ، و كما سمعنا من الناس هناك أن وجودها في الصباح الباكر كل خميس نذير شؤم بالنسبة لهم يجعلهم في حالة غم و إكتئاب و حزن و أي عمل يقومون به خلال حياتهم اليومية مكتوب له الفشل)

(حقا ؟ هذا هو المفتاح لهزيمة هذا الرجل)

(أي مفتـــاح هـــذا ســـيجعلنا نهزمـــه يـــا جنـــرال ؟)

(أسطورة الأشباح السبعة ؟)

(أمعقول يا جنرال ؟ تصدق هذه الخزعبلات التي يتداولها هؤلاء الناس المتخلفين ؟ .....)

(هـــؤلاء المتخلفـــين إنتصـــروا علينـــا و وظفـــوا طاقـــاتهم الجبـــارة ضـــدنا بفضـــل تـــأثير هـــذه الخـــزعبلات و الترهـــات كمـــا تســـميها أنـــت يـــا كـــارميلو ، و العـــرب الـــذين حكمونـــا مـــن قبل لديهم مثل رائع لهذا الأمر)

(ما هو ؟)

(داويها بالتي هي الداء)

(تقصـــــد أن نســـــتخدم أســـــاطيرهم التـــــي يعبدونها عبادة عمياء لصالحنا ضدهم)

(و تحديـــــدا التـــــي تســـــاهم فـــــي عـــــدم مقاومتهم لنا)

فأعـــد الجنـــرال المحنـــك خطتـــه لمواجهـــة الـــزعيم يـــوم الخمـــيس لحظـــة بـــزوغ فجرهـــا القـــادم عنـــدما يكفهـــر الجـــو و تتلبـــد الســـماء إيـــذانا بقـــدوم الأشـــباح الســـبعة فـــي ذلـــك اليـــوم المنتظـــر حيـــث موعـــد مجيـــئهم المعتـــاد ، أمـــا فـــي حـــال عـــدم ظهـــورهم العلنـــي فقـــد كلـــف كثيـــر مـــن البـــوليفيين المتعـــاونين معـــه مهمـــة التـــرويج للأســـباب

التـــي أدت إلـــى عـــدم قـــدومهم بتـــدبير محكـــم حينئذ .

لـــم يـــدر ببـــال الـــزعيم العجـــوز مـــا يـــدبر ضـــده حيـــث كـــان مشـــغولا بتـــدريب جيشـــه المقـــاوم و مـــن ثـــم أداء أعمالـــه اليوميـــة كقـــاض و حكـــواتي و كـــاهن و زعـــيم للقريـــة دون أن يمنـــع عينـــاه مـــن القلـــق المســـتبد بهمـــا بعـــدما رأى النـــار المشـــتعلة حـــول المـــذبح المقـــدس للآلهـــة الوثنيـــة تـــزداد إحمـــرارا لـــم يســـبق لهـــا مثيـــل علـــى وقـــع عـــواء الـــذئاب مـــن أعلـــى غابـــة الصـــنوبر الثلجيـــة و عيونهـــا تصـــف فـــي رداء الليـــل تقـــدح شـــررا موحيـــة لـــه بنـــذير شـــؤم قـــادم نحـــوهم ، فـــأخبر زوجتـــه مـــارتيلا بمـــا

إنتابتــه مــن هــواجس حينئــذ (مــا الــذي تقولــه يا عزيزي ؟)

(مـــا رأيتـــه عنـــد المـــذبح ، النـــار تـــزداد إشـــتعالا و الـــذئاب تعـــوي كثيـــرا مـــع إنـــبلاج فجر يوم الخميس)

(يـــوم الخمـــيس ؟ معنـــى كلامـــك هـــذا أن الأشباح السبعة محتمل قدومهن ؟)

(بـــل متأكـــد إيمـــا تأكيـــد مـــن قـــدومها ، و هذا ما أخشاه)

(تخشى قدومها ؟ لماذا يا عزيزي ؟)

(كيـــف لا أخشـــى قـــدومها ؟! إن قـــدومها أو عـــدم قـــدومها فـــي ميعادهـــا المحـــدد يـــوم

الخميس حسب أعرافنا و طقوسنا الدينية نذير شؤم بالنسبة لنا حيث يجب ألا نعمل أي شيء نمارسه خلال حياتنا اليومية و ينبغي أن نوقفه تماما و إلا أصابه الفشل و عم الخراب و الدمار أصحابه إلى الأبد)

(معنى كلامك هذا أنها في حال قدومها يجب أن نتوقف عن أي عمل نقوم به حتى لا نغضبها طوال يوم الخميس ؟)

(أجل ، لذا أتمنى ألا يحضروا أو يغيبوا غدا و إلا إضطررنا إلى إيقاف حرب المقاومة ضد المحتل)

(و ما شأن المقاومة المسلحة بذلك ؟)

(ويحـــك يـــا مـــارتيلا ؟ كيـــف تقـــولين هـــذا ؟ بـــل هـــو فـــي صـــلب الموضـــوع ، إنـــه عمـــل نمارســـه يوميـــا مثـــل غيـــره مـــن الأعمـــال حتـــى يمـــر يـــوم الخمـــيس و نســـتأنف قيادتهـــا فـــي اليوم التالي)

(أتريـــد أن تقنعنـــي بأننـــا يجـــب أن نوقـــف قتالنـــا المســـتميت ضـــد المحتلـــين الـــذين نهبـــوا أرضـــنا و شـــردوا و قتلـــوا الكثيـــر مـــن أهلنـــا مـــن أجـــل أشـــباح صـــماء ســـخيفة لا تحل و لا تربط ...)

(مـــارتيلا ؟!!! أصـــمتي و أغلقـــي فمـــك !!! إيـــاك أن تتلفظـــي بهـــذه الألفـــاظ و إلا حلـــت لعنتها علينا بسببك ، مفهوم ؟!!!!)

(مفهـــوم يـــا عزيـــزي ، مفهـــوم ، و إن كنـــت في قرارة نفسي غير مقتنعة بما تقول ...)

(لا يهمنـــي رأيـــك ، فـــإذهبي مـــن أمـــامي قبـــل أن أصب جام غضبي عليك الآن)

(حسنا ، سأذهب)

لقـد كانـت مـارتيلا محقـة فيمـا قالـت حسـبما ذكـــر مـــاركوس أمـــام ضـــيوفه ، إلا أن جـــده الغـــارق فـــي الأســـاطير و الطقـــوس الدينيـــة إلـــى حـــد الهـــوس بهـــا و عبادتهـــا إستســـلم لمصـــيره المحتـــوم مـــع مـــا حـــدث فـــي ذلـــك اليـــوم المشـــئوم الـــذي كـــان يتســـم دومـــا بغيـــاب كامـــل لضـــوء الشـــمس و حلـــول ســـحابة الصـــيف مكانهـــا حينمـــا تـــأتي الأشـــباح

السبعة التي تمثل سبعة أرواح لأفراد عائلة أي حاكم محلي للمنطقة تظل تلاحق أفرادها الأحياء حتى مجيئ أخرى تحل محلها على سدة الحكم و تغشى ظلالها السوداء المرعبة أرجاء الجبل فيخر الناس أمام مراءها المأهول ساجدين مما أعطى للإسبان فرصة الإنقضاض عليهم بسهولة و الإستيلاء على قريتهم و إرتكابهم مذبحة دموية بشعة ضدهم أسفرت قتل جميع سكان القرية رجالا و نساء و أطفالا و شيوخا و على رأسهم حاكمهم ديلارويا و قطع رؤوسهم و تعليقها على ساحات العاصمة لاباز لإرهاب المواطنين

و إشعارهم بقوة الجيش الإسباني الجبارة و لو كانت على حساب أناس عزل من السلاح في ذلك اليوم الأليم .

وحدها مارتيلا و إثنان من أولادها السبعة هما بالو و أستكو و والديها الناجين الوحيدين من هذه المذبحة حينما تسللت خلسة مع طفليها الصغيرين دون أذن من ديلارويا المشغول عنها بمجيء الأشباح السبعة في ذلك اليوم اللعين من كل أسبوع ، و عندما عادت و أدركت الفاجعة التي ألمت بزوجها و أولادها الخمسة (ثلاثة أولاد و بنتان) الذين رابطوا مع أبيهم و جرفتهم المذبحة

الوحشية في سيلها الدامي حتى إنتابتها حالة من الحزن و الأسى الشديدين و تأنيب الضمير لأنها حسب رأيها تخلت عنه في أحلك الظروف ، ظلت هذه الحالة المذكورة آنفا ملازمة لها حتى بعد نجاتهم من يد الجنرال أنجيل و جنوده و خروجهم من بلادهم بصعوبة صوب ميريدا الجبلية الوعرة بفنزويلا حيث يسكن شقيقها الأكبر بيدرو و عائلته المهاجرون إلى هناك للعمل في واحدة من مناجمها الجديدة بغاباتها الإستوائية قبل ثلاث سنوات لتعاني عندهم من الإكتئاب الحاد الذي تسبب بوفاتها كمدا بعد عامين من

مقتـــل زوجهـــا فـــي مذبحـــة الرابيـــة الرماديـــة السالف الذكر .

ظلـــت هـــذه الأحـــداث المريعـــة عالقـــة فـــي ذهـــن أســـتكو كثيـــرا دون توقـــف حتـــى بعـــد أن أضـــحى شـــابا يافعـــا بســـن العشـــرين ثـــم زواجـــه مـــن فتـــاة برازيليـــة جميلـــة تنتمـــي إلـــى عائلـــة زوجـــة خالـــه تـــدعى أوليفيـــا بـــالبوا رغـــم أنهـــا تصـــغره بعشـــر ســـنوات أي تزوجهـــا و هـــي طفلـــة ، فتملكتـــه مشـــاعر الحقـــد مـــن الغـــزاة الإســـبان و الـــدين و الأســـاطير الشـــعبية و تحديـــدا أســـطورة الأشـــباح الســـبعة ، فلـــم يـــؤد الطقـــوس الوثنيـــة لديانتـــه الأصـــلية داخـــل المنـــزل و لـــم يـــذهب إلـــى الكنيســـة

قــط لأداء شــعائر دينــه الظــاهري كمــا هــي عــادة الغــورانيين حتــى وقتنــا الحاضــر بعــدما أجبــروا علــى إعتناقــه بقــوة الســلاح مــن قبــل الإســبان الغــزاة مــا دفعــه إلــى الإنضــمام لصــفوف المقاومــة ســعيا وراء تحريــر قــارة غورانيــا و التــي تزعمهــا الــزعيم الفنزويلــي البطــل ســيمون بوليفــار موحــد البلــدان المحــررة فــي القــارة مــن المحتــل فــي ظــلال دولــة كولومبيــا الكبــرى حيــث قاتــل الغــزاة الغاصــبين بشراســة و ببســالة أفــزعتهم و أفزعــت رفــاق ســلاحه بعــدما قتــل حــوالي ٧ آلاف جنــدي مــن أعدائــه مــن بيــنهم الجنــرال أنجيــل بــولينزو و الكولونيــل كــارميلو الــذي

مـــزق جســـديهما بالرصـــاص دون رحمـــة و شـــفقة إثـــر تحريـــرهم عاصـــمة الحكـــم الإســـتعماري فـــي منطقـــتهم و أضـــحت بعـــد التحريـــر عاصـــمة الدولـــة الجديـــدة التـــي أسســـها ســـيمون بوليفـــار و إســـتوحى إســـمها مـــن إســـمه الـــذائع الصـــيت آنـــذاك (بوليفيـــا) .

بعـــدما قتلهمـــا حمـــل جثتهمـــا إلـــى قريتـــه و وضـــعهما فـــي ســـاحة الرابيـــة الرماديـــة معلنـــا لأهلهـــا بأنـــه قـــد أخـــذ بثـــأره و ثـــأرهم جميعـــا مـــن القتلـــة بـــأعلى صـــوته الـــذي إختـــرق عنـــان الســـماء الصـــامتة فـــي ذلـــك حـــدادا علـــى والـــده و أشـــقائه الخمســـة و العديـــد مـــن أهـــل

قريتـــه المســـالمين ، لكنهـــا تلبـــدت بـــالغيوم و صـــرخات أشـــبه بعويـــل الـــذئاب المفترســـة ممـــا كـــان يـــوحي بنـــذير شـــؤم قـــادم تحملـــه الأشـــباح الســـبعة معهـــا ، لكنـــه رد علـــى ذلـــك بثقـــة و عزيمـــة عاليـــة غيـــر مبـــال لمـــا رأه (أرعـــدوا الســـماء و أبرقـــوا فيهـــا و أصـــرخوا كالـــذئاب فـــأنتم لا ترهبوننـــا أبـــدا ، فبوليفيـــا المحـــررة ليســـت مكانـــا للجبنـــاء أو العبيـــد يرضخون لمشيئتكم أو مشيئة غيركم)

(٣)

إكتشـــف أســـتكو متـــأخرا بـــأن الأشـــباح السـبعة سـيظلون قـدره المحتـوم حتـى آخـر جيـل مـن سـلالته العتيـدة ، و خصوصـا و أن فتـرة الإسـتقلال لـم يكـن طريقهـا مفروشـا بـالورود بـل مزروعـا بالأشـواك الخفيـة بـين أوراقهـا الملونـة ، فسـرعان مـا دخلـت بـلاده بـلا هـوادة فـي حـروب متتاليـة مـع الجيـران كالبرازيـل و تشـيلي و بيـرو و الأرجنتـين أدت إلـى خسـارتها لمزيـد مـن الأراضـي مـن بينهـا المنفـذ البحـري الوحيـد المطـل علـى المحـيط الهـادئ و المعروفـة بـإقليم فالبـاريزو التشـيلي حاليـا ، عـدا عـن

الإنقلابات العسكرية التي إجتاحت بلاده منذ الإستقلال حتى مطلع القرن العشرين و حققت رقما قياسيا مسجل في موسوعة غينيس وصل إلى حوالي ٢٠٠ إنقلاب عسكري عانى أستكو و عائلته إبانها الظلم و الإضطهاد و تجريده من وظيفته العسكرية كقائد لحرس الحدود أكثر من مرة تنقل خلالها في العديد من المناصب المدنية و العسكرية الغير مناسبة له و كان آخرها مدير الحرس الجامعي في جامعة لاباز لعدم موالاته للإنقلابيين بكافة أشكالهم و تياراتهم السياسية ، و عندما كان يرفض تلكم الوظائف السخيفة يكون

مصـــــيره قذفـــــه إلـــــى أقبيـــــة الســـــجون و المعـــتقلات ، و قـــد شـــاركته زوجتـــه أوليفيـــا هـــذه المعانـــاة و نالـــت نصـــيبا وافـــرا مـــن التعـــذيب و الظلـــم و القهـــر بـــل كـــان أكثـــر وحشـــية ممـــا تعـــرض لـــه بســـبب أصـــولها البرازيليـــة ، ســـيما و أن العـــداء بـــين بوليفيـــا و البرازيـــل قـــد إســـتحكم بينهمـــا ردحـــا مـــن الـــزمن إثـــر خوضـــهما أربعـــة حـــروب متتاليـــة طاحنة .

وظـــل الوضـــع علـــى هـــذا المنـــوال إلـــى أن تقاعـــد أســـتكو مبكـــرا بعـــد قضـــى ٣٥ ســـنة كاملـــة فـــي الســـلك العســـكري ، فقـــرر علـــى إثـــر ذلـــك الرحيـــل و عائلتـــه إلـــى قريتـــه

الجبلية النائية و العيش في بيته الصخري و مزرعة الفواكه الخاصة به منذ منحها الرئيس سيمون بوليفار له منذ الأسبوع الثاني للإستقلال ، إضافة إلى نيل نصيبه من ميراث والدته في وادي الذهب المجاورة للرابية الرمادية و بقي فيها ، عكس شقيقه الأصغر بالو الذي باع نصيبه و هاجر إلى العاصمة لاباز قبل أن يخسر كل ما كسبه في بورصتها المالية خلال فترة الكساد الكبير[٣] ليصاب على إثر ذلك بالجنون حيث لم يتحمل الصدمة ، سيما و أنه رهن أمواله في أمر

[٣] هي فترة عصيبة من التاريخ المعاصر عن إنهيار إقتصاديات اوروبا و أمريكا الراسمالية المملوكة للشركات الخاصة الكبرى و تحول شعوبها الثرية إلى شعوب فقيرة فقرا مدقع إثر إنهيار بورصة نيويورك عام ١٩٢٨م حتى إندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م (المؤلف) .

لا يفقه منه شيئا و هي البورصات و أسواق الأوراق المالية و التي ظهرت في اوروبا و أمريكا منذ أواخر القرن التاسع عشر ليتوفاه الله جراء ذلك .

كانت وفاة بالو شديدة الوطأة عليه لمكانته الغالية في قلبه حيث لم يكن مجرد أخا شقيقا من دمه و لحمه فحسب بل بمثابة ولده الصغير ، فأنفق على تعليمه و تزويجه بفتاة من قريتهم كان يحبها كثيرا ألا و هي ماريتا الساذجة إلى حد الغفلة و عثر على وظيفة مناسبة له تتناسب مع مؤهلاته الجامعية و هو الوحيد من العائلة الذي حاز على شهادة

جامعيـــة و تحديـــدا فـــي مجـــال الهندســـة المدنيـــة مـــن جامعـــة ســـانتا كـــروز عـــام ١٨٥٢م ، كمـــا كـــان يشـــعر بالنـــدم لأنـــه لـــم ينصـــحه بعـــدم رهـــن أموالـــه فـــي البورصـــة ، ســـيما و أنهـــا كانـــت مـــن وجهـــة نظـــره نوعـــا مـــن أنـــواع القمـــار الرســـمي تحـــت حمايـــة الدولـــة كما فهم من فحواها للوهلة الأولى .

فمـــن هـــذا المنطلـــق قـــرر أن يتـــولى رعايـــة عائلتـــه و الإنفـــاق علـــيهم حتـــى يعتمـــدوا علـــى أنفســـهم كمـــا فعـــل معـــه مـــن قبـــل ، فـــأخبر بـــالبوا و ولديـــه و إبنتـــه الجميلـــة الوحيـــدة ســـيلفيا بـــالأمر فلـــم يعترضـــوا بتاتـــا بـــل رحبـــوا بـــذلك أيمـــا ترحيـــب ، ســـيما و أنهـــم

سيكونون قريبين معهم بعد ثلاث سنوات من تبادل الزيارات المتعبة فيما بينهم دون أن يدر بخلدهم بأن هذا الأمر الحسن سيكون نذير شؤم عليهم و تحديدا على بالبوا و سيلفيا .

(لماذا بالبوا و سيلفيا بالذات ؟) هكذا سألته هيلغا ماركوس بإهتمام بالغ لا مثيل له .

(هذه قصة طويلة سأخبركم به الآن ، لذا رجاء أنصتوا لها بتركيز شديد)

فعلا كان ماركوس محقا فيما قال ، ففي اليوم الذي إستضاف فيه عائلة أخيه بالو يوم الخميس تلبدت الغيوم و إكفهرت السماء معلنة قدوم الأشباح السبعة التي

تـــدافعت واحـــدة تلـــو الأخـــرى أمامـــه بوجوههـــا الشـــريرة و المبتســـمة و المرعبـــة فـــي آن معـــا ، فيخـــرج مـــن بـــاب بيتـــه متحـــديا خوفـــه الـــذي جعلـــه يوقـــع دلـــو المـــاء علـــى الأرض لحظـــة رؤيتـــه لهـــم و يصـــرخ فـــيهم (فلتـــذهبوا إلـــى الجحـــيم ، لـــن ترعبونـــا بعوائكم و عيونكم المرعبة)

و لكـــي يؤكـــد تحديـــه لهـــم ، قـــرر أن يعقـــد داخـــل القريـــة قـــداس أســـبوع الآلام كـــل خمـــيس أســـبوعيا لطـــرد الأرواح الشـــريرة مـــن القريـــة ، و ذلـــك بعـــد إختيـــاره عمـــدة لهـــا منـــذ أســـبوعين رغـــم عـــدم إقتناعـــه الراســـخ بـــالطقوس الدينيـــة بكافـــة أشـــكالها و رغـــم

إعتـــراض العديـــد مـــن ســـكانها لهـــا بإعتبارهـــا مـــن الأعيـــاد المســـيحية المفروضـــة علـــيهم و المجلوبـــة مـــن قبـــل المســـتعمر الغاصـــب لهـــم و مخـــالف لمعتقـــداتهم الوثنيـــة المتوارثـــة عـــن أجـــدادهم الأنكـــا جـــيلا بعـــد جيـــل ، و كـــان أكثـــر مـــن إعتـــرض علـــى ذلـــك إبـــن أخيـــه الأصـــغر مارســـيلو الـــذي تســـبب بمعانـــاة والـــده و غضـــبه المســـتمر عليـــه إلـــى حـــد طـــرده مـــن المنـــزل فـــي بعـــض الأحيـــان حينمـــا لـــم يفلـــح فـــي دراســـته و لا عملـــه كمقـــاول قبـــل أن يســـتقر فـــي مهنـــة حـــارس لمزرعـــة المواشـــي التابعـــة لعمـــه بعكـــس أخيـــه الصـــغير روميـــرو زوج ســـيلفيا فيمـــا بعـــد الـــذي تخـــرج

معهـــا مـــن كليـــة الصـــحافة و الإعـــلام فـــي جامعـــة لابـــاز و أضـــحى صـــحفيا مرموقـــا بعـــد توليـــه مكتـــب صـــحيفة البـــاييس[٤] الإســـبانية فـــي العاصـــمة و تأسيســـه صـــحيفة محليـــة فـــي القريـــة تســـمى (كالـــديرا ديـــاز)[٥] و عملـــت ســـيلفيا فيهـــا مـــديرة تحريـــر مـــدة ثمـــان ســـنوات ، بـــل إن المعارضـــين لفكـــرة إقامـــة قـــداس إســـبوع الآلام أرجعوهـــا إلـــى تـــأثير زوجتـــه البرازيليـــة الغريبـــة عـــنهم و عـــاداتهم و تقاليدهم العريقة .

لـــم يبـــالي أســـتكو بالمعارضـــين و كلامهـــم الحـــاد تجـــاه زوجتـــه بـــالبوا التـــي تخوفـــت مـــن

[٤] تعني الوطن باللغة الإسبانية (المؤلف) .

[٥] تعني الأيام الحمراء باللغة الإسبانية (المؤلف) .

غضبتهم عليه (لما أنت خائفة إلى هذا الحد يا عزيزتي ؟)

(كيف لا أخاف يا عزيزي و أنت ستقدم على شئ لم يعتادوا عليه و خارج نطاق عاداتهم و تقاليدهم ؟)

(أنت أيضا تصدقين تراهاتهم السخيفة بخصوص الأشباح السبعة ؟! أنا لا أصدق)

(أنا لا أصدق هذا كما أخبرتني عنه ، لكني لا أريد أن تتعرض للمشاكل و المخاطر بسببي ، و لا أريد أيضا أن أفقدك جراء ما تأثرت به من عاداتي و

تقاليـــدي الغريبـــة عليـــك ، اهـــئ اهـــئ ، أرجوك)

يرفـــع رأســـها مـــن ذقنهـــا بأصـــابعه الثلاثـــة و يمسح دموعها بمنتهى الرفق :

(لا تبكـــي ، فأنـــا أعـــرف مـــدى حبـــك الشـــديد لـــي يـــا عزيزتـــي ، فـــلا تقلقـــي علـــي ، و لـــن أســـمح لأحـــد كـــان أن يمســـك أو يمس أولادنا بسوء)

(حقا يا عزيزي ؟)

(أجـل يـا بـالبوا ، لـن يمسـك أحـد بسـوء مـا دمت حيا)

فيحتضـــنها أســـتكو بشـــغف كبيـــر منحهـــا الأمـــان و الراحـــة النفســـية المطلقـــة دون أن يعلمـــا مـــاذا ســـيخبئ لهـــم القـــدر مـــن مأســـاة قادمة إليهما .

فعنـــدما بـــدأ الإحتفـــال ، شـــعرت بـــالبوا بالتعـــب ، فإســـتأذنت أســـتكو أن تأخـــذ الأولاد معهـــا إلـــى المنـــزل و تســـتريح فـــي حـــديقتها الصـــنوبرية ، لكـــن نجلهـــا كـــارلوس ظـــل يلـــح عليهـــا بعـــدم الرحيـــل (أرجـــوك يـــا أمـــي ، نريـــد أن نحضـــر مراســـيم القـــداس و نلعـــب مـــع أطفـــال جارنـــا توليـــدو و ســـنأخذ سيلفيا معنا)

(حسنا يا كارلوس و يا أوسكار و لكن بشرط ، أن تكونوا بجانب والدكما و لا تتأخرا حتى لا نقلق عليكما ، و ستبقى سيلفيا معي لن تذهب معي)

(و لكن يا أماه ....)

(لا مناقشة في هذا الموضوع ، سيلفيا مازالت صغيرة جدا و لا أريدها أن تضيع وسط الزحام في ذلك القداس ، مفهوم يا كارلوس ؟)

(مفهوم يا أماه)

(مفهوم يا أوسكار ؟)

(مفهوم ؟)

و مـــا أن تـــرك كـــارلوس و أوســـكار والـــدتهما و أختهمـــا الصـــغيرة فـــي المنـــزل إلـــى القـــداس ، حتـــى لاح مـــن خلـــف الحديقـــة دون أن تـــدري الأم الســـعيدة بمداعبـــة إبنتهـــا الصـــغيرة بوجـــوده الخطـــر الـــداهم القـــادم نحوهـــا مـــن قبـــل مارســـيلو و ثلـــة مـــن الرافضـــين حـــاملين فـــي جعبـــتهم ســـكاكينا و فؤوســـا حـــادة (هـــذه هـــي زوجـــة عمـــي ، إنهـــا ضـــالتنا المنشـــودة ، و لا أحد يحميها منا ، هيا)

فســـرعان مـــا أغـــار عليهـــا بشـــكل مفـــاجئ لهـــا عنـــدما رأت مصـــدومة وجهـــه الوحشـــي (حـــان وقـــت إعـــدامك أيتهـــا البرازيليـــة الخائنـــة)

(من ؟! مارسيلو ؟!!! .....)

فإنهـــال عليهـــا ذبحـــا و تقطيعـــا بـــالفؤوس و السـكاكين و أمـــام ســـيلفيا المســـكينة التـــي هالهـــا المنظـــر المرعـــب و جعلهـــا تصـــرخ و تبكـــي مـــرارة العلقـــم طالبـــة النجـــدة عبثـــا مـــن الحاضـــرين الغـــارقين فـــي دوامـــة ضـــجيج الإحتفـــال المقـــدس الصـــاخب و مـــن بيـــنهم شـــقيقيها و والـــدها الـــذي شـــعر بإنقبـــاض شـــديد فـــي قلبـــه لـــم يشـــعر بـــه مـــن قبـــل ، و بعـــدما قطعوهـــا إلـــى شـــرائح عـــدة ضـــرب ســـيلفيا علـــى رأســـها فأفقـــدها الـــوعي و لاذ مـــع أصـــحابه بـــالفرار تـــاركين ورائهـــم مجـــزرة بشـــعة يشـــيب لهـــا الولـــدان بحـــق إمـــراة

ضـــعيفة و طيبـــة لا ذنـــب لهـــا ســـوى أنهـــا غريبة عن وطنهم .

لـــم يطـــق مـــاركوس صـــبرا حتـــى يـــذرف الـــدموع الغزيـــرة أمـــام ضـــيوفه مـــن هـــول الوصـــف المجـــرد لهـــذه الجريمـــة البشـــعة و التـــي إرتكبـــت علـــى يـــد أقـــرب النـــاس لوالـــده أســـتكو ألا و هـــو إبـــن أخيـــه الضـــال مارســـيلو ، فعنـــدما علـــم أســـتكو بمـــا حـــدث حتـــى إنـــدفع ريحـــا هائجـــة تعصـــف بمـــن حولهـــا نحـــو منزلـــه ليتبخـــر غضـــبه و رعبـــه لحظـــة رؤيتـــه لبـــالبوا بعـــدما تحولـــت إلـــى شـــرائح مـــن اللحـــم المقـــدد العفـــن حتـــى عنـــدما حـــاول و أولاده المفجـــوعين و بعضـــا مـــن أهـــل القريـــة

المؤيدين له لملمة أجزاء منها دون جدوى ، فلم يقوى على الصمود أمام ما حدث حتى إنهار بالبكاء و الصراخ الذي كاد أن يتسبب بإنهيار ثلجي جراء هديرها العالي (بالبووووا) .

لكنه سرعان ما هدأ عندما سمع بكاء هامسا من خلف الباب الأمامي حيث توجه إليه بهدوء ليكتشف أنها إبنته سيلفيا المرتجفة من شدة الخوف متشبثة بكلتا ركبتيها و أسنانها تصطك بإستمرار دون توقف و عندما حاول حملها إبتعدت عنه و الدموع الغزيرة تملا عينيها الجاحظتين من شدة الحزن و الرعب الذي جعلها

تفقد النطق لساعات قبل أن يحتضنها بقوة غير مبال لصراخها و مهدئا لروعها دون أن يفلح في نيل إجابة وافية منها عما حدث سوى كلمة واحدة نطقتها بشكل متقطع دون توقف (ماااررررسيلو ، ماااررررسيلو ، ماااررررسيلو .....)

(مارسيلو ؟ إبن أخي الصغير ؟ مستحيل)

لم يصدق أستكو كلامها في البداية حتى بعد أن أومأت برأسها له تأكيدا لذلك ، أولا حتى لا يظلمه دون دليل قبل أن يأتيه أحد المساعدين بسكين جيب و بقايا

سيجار روثمان[٦] حتى تأكدت ظنونه بخصوص ذلك .

(فأمر بإعتقاله فورا ، أليس كذلك ؟)

(كلا سيدة هيلغا ، توجه إلى عائلة أخيه بالو ليواجههم بالحقيقة)

(و لما لا يعتقله و أصدقائه فورا ؟! إلى هذا الحد سيجامله من أجل أخيه الأصغر ؟!!)

(هيلغا ! لا تعتقدي أن الناس مثل بلدنا المانيا ، فكل لديه ثقافته الخاصة التي تختلف عن ثقافتنا المحلية ، بل أننا في الريف سنتصرف كأستكو بالضبط)

[٦] ماركة سجائر بريطانية الصنع (المؤلف) .

(زوجك محق يا سيدة هيلغا ، لقد كان أبي يحترم عائلة أخيه الأصغر بالو بمنتهى التقدير و الإحترام ، و لم يكن يتوقع أن يقدم مارسيلو على هكذا تصرف ، قبل أن يفاجأ هناك بمفاجأة مرة كانت تنتظره في الطريق)

(هل إكتشف والدك أن مارسيلو مختبئ لدى والدته و رفضت تسليمه له)

فأجابهم ماركوس بالإيجاب ، فلقد كانت أم مارسيلو وراء عملية إغتيال بالبوا الغاية في الوحشية بحجة أنها برازيلية أولا و غريبة ثانيا و حاولت إدخال بعض الطقوس الدينية الغريبة عن أهل قريتها

ثالثا ، و أخيرا و ليس آخرا هي من كانت وراء إقناع زوجها بالو أن يضع أمواله في البورصة عبر إبن عمها السمسار المالي بوليرو ، فلم يتحمل الصدمة سيما بعدما علم أن سكان القرية و تحديدا المعارضين له ساعدوها في إرتكاب الجريمة سرا و علانية ، فأمر بإعتقالها و أولادها حتى يجبر مارسيلو على تسليم نفسه له .

(و هل سلم نفسه فعلا ؟)

(كاد أن يفعل ذلك يا سيد جوهان ، لكنه رأى إحتجاجات هادرة تدفقت سيولا عارمة من قبل سكان القرية حاولت

محاصـــرة مقـــر البلديـــة دون جـــدوى لإجبـــار أســـتكو كـــي يفـــرج عـــن زوجـــة أخيـــه و أولادهـــا ، فإســـتغل الفرصـــة و بمســـاعدة مـــن الحـــراس المتـــواطئين علـــى إخـــراجهم مـــن الســـجن و تهـــريبهم إلـــى مكـــان آمـــن بعيـــد عـــن البلديـــة فـــي مـــأواه المؤقـــت بغابـــة الصـــنوبر تحـــت حمايتـــه و صـــديقه قبـــل أن يفاجـــأوا بوجـــود أســـتكو و بعضـــا مـــن أولاده المتربصـــين بهـــم منـــذ لحظـــة خـــروجهم مـــن الســـجن و يمســـكوا بهـــم عـــدا مارســـيلو الـــذي أفلـــت مـــنهم بصـــعوبة لبرهـــة مـــن الـــزمن قبـــل أن يتداركـــه أســـتكو بشـــق الأنفـــس لتـــدور حولهمـــا بـــوادر معركـــة ثأريـــة صـــغيرة (قتلتهـــا

؟! قتلتهـــا أيهـــا اللعـــين ؟!!! و أمـــام مـــن ؟!!!! أمـــام إبنـــة عمـــك الصـــغيرة ســـيلفيا ؟!!!!!)

(أهـــذا مـــا يهمـــك يـــا عمـــاه ؟!!! مصـــير زوجتـــك و إبنتـــك الغربـــاء و الخونـــة ؟!!!! و لا يهمـــك مصـــير أخـــاك و عائلتـــه و أهـــل بلدك الذين أهينوا على يدهم ؟!!!!)

(أنـــتم الخونـــة و الغربـــاء الحقيقيـــين ، أنـــتم الـــذين قتلـــتم أخـــي بـــالو قهـــرا و كمـــدا بغبـــائكم و حســـدكم و أنـــانيتكم التـــي لا تطـــاق ، و أنـــت أولهـــم أيهـــا الولـــد العـــاق اللعين .....)

(خذ مني عليك اللعنة)

(و أنت أيضا)

دامت المعركة ساعات طوال زادت من دمويتها المتوحشة التي أسفرت عن قتل مارسيلو على يد عمه المجروح الذي ظل يغمد خنجره على صدره مرارا و تكرارا دون توقف مازجا دماؤه الزكية بدموعه الغزيرة و الحارة و كابحا جماح نفسه في آخر لحظة حينما إحتضن مارسيلو القتيل بين ذراعيه (لماذا يا مارسيلو لماذا ؟ إذا كنت تشعر بالغبن و اليأس فخذ حقك مني و ليس من زوجتي و أولاد عمك ، يا عزيزي مارسيلو يا إبن أخي الغالي بالو ، اهئ اهئ اهئ)

لـــم يتوقـــف عـــن البكـــاء المريـــر حـــول جســـد مارســـيلو حتـــى بعـــدما تلبـــدت الغيـــوم و إكفهـــرت الســـماء معلنـــة رحيـــل الأشـــباح الســـبعة عـــن قريتـــه قبيـــل غـــروب الشـــمس اليوم الجاري .

بعـــد ذلـــك ، قـــرر أســـتكو الرحيـــل بعائلتـــه عـــن قريـــة الرابيـــة الرماديـــة إلـــى العاصـــمة لابـــاز و شـــراء منـــزل كبيـــر فـــي إحـــدى شـــوارعها التجاريـــة و يعمـــل هنـــاك فـــي تجـــارة القطـــن إثـــر بيعـــه للمنـــزل و المزرعـــة بعـــدما فقـــد ثقتـــه بالنـــاس فـــي قريتـــه و مـــن حولهـــا مـــن القـــرى الغارقـــة فـــي العـــادات و التقاليـــد الباليـــة و

الأوهـــام الســـخيفة مـــن وجـــود غـــزاة جـــدد يتربصون بهم في آية لحظة .

(٤)

تناول ماركوس رشفة من الماء حتى يبل حلقه الجاف من كثرة من روى لهم عن تاريخ عائلته و بلده المضطرب حتى يومنا هذا و الأحداث التي صاحبت تلك الفترة سيما بعدما بلغ سن الرشد ما زال سيلها العرم يتدفق إلى ذاكرته الفيلية ليبدأ فصلا جديدا منها تمثل في مواصلته الدراسة في مدرسة ديلا خويا الثانوية متأخرا عن أخته الصغيرة سيلفيا التي أضحت صحفية بعد تخرجها من كلية الصحافة بجامعة لاباز عام ١٩٦٧م ليقيم لها والده إحتفالا كبيرا في الحي الذي يقطنه منذ سنوات و

حضـــره العديـــد مـــن رجـــال الدولـــة العســـكريين و المـــدنيين و عـــائلاتهم و معظـــم مـــن زملائـــه القـــدامى فـــي الجـــيش ، و بعـــد أن أطفـــأت ســـيلفيا الشـــمعة الموضـــوعة فـــي قالـــب الحلـــوى و قـــد كتـــب عليـــه إســـمها و عـــام تخرجهـــا ، بـــدأ الســـيد أســـتكو الرابـــت علـــى كتفهـــا يلقـــي بكلمـــة مرتجلـــة أمامهـــا و أمـــام الجميـــع (اليـــوم نحتفـــل بتخـــرج الصـــحفية الصـــاعدة ســـيلفيا مـــن كليـــة الصـــحافة و الإعـــلام بتقـــدير إمتيـــاز ، و إحتفالنـــا بهـــا لـــيس لأنهـــا مجتهـــدة فـــي دراســـتها فحســـب ، بـــل لأنهـــا تغلبـــت علـــى آلامهـــا و مخاوفهـــا العائـــدة معظمهـــا إلـــى الماضـــي الأليـــم ،

إضـــافة إلـــى أنهـــا تحـــدت الصـــعوبات و العوائــق الشــبه مســتحيلة الواقفــة حجــر عثــرة أمــام خوضــها مهنــة المتاعــب عبــر تحقيقاتهــا الصـــحفية المتعلقـــة بنهـــب الأراضـــي التـــي شــاعت فــي الآونــة الأخيــرة ببراعــة فائقــة قــل نظيرهــا لكونهــا فتــاة أولا و غيــر خبيــرة ثانيــا فـــي صـــحيفة (كالـــديرا ديـــاز) التـــي يـــديرها خطيبهـــا و إبـــن أخـــي روميـــرو ، لكنهـــا تجــاوزت كــل هــذا بــإرادة حديديــة ، و مــا يزيـــدني فخـــرا أنهـــا ورثـــت هـــذه العزيمـــة و مكافحـــة الظلـــم منـــي بـــل و تفوقـــت علـــي تمامـــا ، فحيوهـــا جميعـــا و أدعـــوا لهـــا بالتوفيق و النجاح)

رغم تعالي صوت التصفيق الحار لشقيقته الصغرى و التي حققت ما عجز هو عن تحقيقه فإن ماركوس لم يحقد عليها أو يشعر بالغبن من إهتمام والده الزائد بها ، بل كان سعيدا جدا لأنها تخلصت من حالتها النفسية التي عانت منها خلال إقامتها في مستشفى الونزو للأمراض العقلية بالعاصمة جراء صدمتها العصبية من مشهد قتل والدتها المرعب التي لازمتها حتى بعد نجاحها في المرحلة الثانوية ، لكنه كان خائف عليها من أن تتكرر مجددا مع دخولها مهنة الصحافة المحلية التي كانت ما تزال تعاني من

الرقابة الحكومية الشديدة لها بل و من مطاردتها للصحفيين الذين يتجاوزون خطوطها الحمراء سيما و أن البلاد لا تزال تحت الحكم العسكري حتى عقد الثمانينات ، لكن بعدما رأى الاشباح السبعة تخيم بظلالها المرعبة سماء جامعة لاباز خلال حفل تخرجها من الجامعة .

(و هذا ما حدث .....)

(هل إعتقلها العسكر ؟)

(بالتأكيد يا سيدة هيلغا ، و يا ليت إعتقلوها بسبب مواضيعها الجريئة التي تمس هموم الناس و المجتمع البوليفي ، بل بسبب آرائها السياسية)

(آرائها السياسية ؟! هل كانت تنتمي إلى أحد الحركات السرية ؟)

(بلى)

لم يكن والده يصدق أن إبنته الطيبة منضوية تحت لواء أحد الأحزاب المعارضة للنظام العسكري ألا وهو حزب اليسار الإمريكي الذي أسسه الثائر الأرجنتيني التشي جيفارا قبيل مقتله عام ١٩٦٨م إلا بعدما قرأ بعض المنشورات المبعثرة في غرفتها قبيل عودتها إلى البيت في وقت متأخر من الليل :

(مساء الخير يا أبي)

(مساء الخير ، لما تأخرت سيلفيا ؟)

(أنـــا آســـفة جـــدا يـــا أبـــي ، لقـــد كـــان لـــدي عمل كثير في الصحيفة كالعادة)

(عمل في الصحيفة ، أم في الحزب ؟)

(حزب ؟! أي حزب ؟!!!)

(لا تراوغي ، حزب اليسار الإمريكي المنضوية تحت لوائه ، أليست هذه منشوراته الخاصة التي وجدتها في دولابك ؟)

(آه ، إنها لأحد زملائي في الصحيفة المنتمي إلى هذا الحزب ، هذا كل ما في الأمر)

(و هل إسم زميلك المكتوب في المنشورات سيلفيا أستكو ؟)

(أأأنا .....)

(سيلفيا ، أنا ربيتك على الصدق ، و الكذب ليس لائقا بك ، قولي الحقيقة رجاء ، ما حكاية هذه المنشورات السرية ؟)

(في الحقيقة ، أنا منتمية إلى حزب اليسار الإمريكي)

(يا للهول ، هذا ما كنت أخشاه ، هذا ما كنت أخشاه ..... منذ متي و أنت منخرطة في هذا الحزب ؟)

(منذ ست سنوات)

(هل يعرف زوجك روميرو بذلك ؟)

(كلا يا أبي .....)

فما إن قالت ذلك حتى صفعها بشدة

(أتصفعني يا أبي ؟ .....)

(و أحطم رأسك ، منذ ست سنوات و أنت تخفين عني و زوجك روميرو هذا الموضوع ؟ أهذا عرفانك بالجميل لي ؟ بعد الذي بذلته من أجلك لكي تصبحي صحفية مرموقة لها مكانتها الرفيعة في المجتمع تفسدين كل هذا من أجل تفاهات سياسية ؟ ....)

(أبي ، إنها ليست تفاهات سياسية ، أنا لم أرتكب خطا فادحا البتة ، كل ما في الأمر أنني مارست حقوقي الديمقراطية

كالإنتمـــاء إلـــى أي حـــزب سياســـي يمثلنـــي و يمثل أفكاري السياسية الخاصة)

(حقوقـــك الديمقراطيـــة ؟ يـــا لـــك مـــن فتـــاة مرحـــة ، أتظنـــين أن بلـــدنا ديمقراطـــي و يتبنـــى التعدديـــة السياســـية و الإنتخابـــات الحـــرة و حريـــة الصـــحافة ؟ أفيقـــي يـــا فتـــاة أفيقـــي ، فـــنحن مازلنـــا تحـــت الحكـــم العســـكري الديكتاتوري)

(و لكنـــي أجـــري تحقيقـــاتي الصـــحفية فـــي مواضيع جريئة بالصحيفة ....)

(هـــل تنشـــر معظمهـــا ؟ بالتأكيـــد لا ، نحـــن لســـنا بلـــدا ديمقراطيـــا كمـــا أخبرتـــك مـــن قبـــل ، هـــل تعـــرفين عقوبـــة الـــذي يحمـــل منشـــورات

سـرية أو يمـارس نشـاطا سياسـيا فـي السـر أو في العلن ؟ الإعدام رميا بالرصاص)

(و هل كانت أمي تمارس النشاط السياسي و تحمل منشورات سرية عندما نفذ أهل القرية فيها حكم الإعدام ؟)

(ماذا ؟! ماذا تقصدين ؟!!!)

(أنا لا أحب هذه البلاد)

ظـل أسـتكو مدهوشـا مـن ردة فعـل إبنتـه سـيلفيا حتـى بعـدما رحلـت حاملـة حقيبـة ثيابهـا أمامـه دلالـة علـى عـدم عودتهـا إلـى المنـزل نهائيـا حيـث أدرك أخيـرا أنهـا لـم تـنس والـدتها البتـة حتـى بعـد شـفائها تمامـا

من عقدتها النفسية التي لازمتها منذ الطفولة .

و بعد مرور ثلاثة اشهر على رحيلها ، قام و ولديه ماركوس و بيدرو بالبحث عنها في أرجاء لاباز قاطبة و لكن دون جدوى ، و ظل أستكو على هذا الحال حزينا كئيبا حتى أتى بيدرو إليه قادما من الخارج مهرولا منقطع النفس :

(أبي ، أبي ، لقد وجدتها ، وجدت أختي سيلفيا)

(حقا ؟! أين ؟!!!)

(في شارع سانتو دومنغو حيث رأيت الجنود يجرونها مقيدة و يركلونها بأقدامهم إلى إحدى عربات الشرطة

العسكرية و عندما رأتني صرخت بإسمي ثلاث مرات فعرفتها ! إنها سيلفيا بحد ذاتها)

(حسنا ، حسنا ، أين سيتجهون بها يا ولدي ؟)

(قبل أن أهرب منهم ، رأيتهم يتجهون إلى شارع الدرع الفضي و يقفون في سجن أوباتونكا)

(ماذا ؟! سجن أوباتونكا ؟!! الأوغاد ، أيريدون سلخ جلد إبنتي بأحماضهم الكاوية ؟ هيا يا بيدرو تعال معي و إستدعي معك ماركوس للحاق بها)

لـــم يصـــدق مـــاركوس مـــا قالـــه شـــقيقه بيـــدرو عمـــا حـــدث اليـــوم ، ســـيما و أن ســـيلفيا أرســـلت إلـــى ســـجن أوباتونكـــا الشـــديد الحراســـة الرهيـــب الـــذي كـــانوا يـــذيبون عظـــام المعتقلـــين فيـــه بالأســـيد أو الحمـــض الكـــاوي ، فإنتابـــه الرعـــب و الهلـــع و الخـــوف الشـــديد علـــى شـــقيقته الصـــغيرة مـــن أن تمـــوت أو تشـــوه علـــى أيـــدي جلاديـــه ، و كـــان مـــن الصـــعب علـــيهم دخـــول الســـجن أو حتـــى اقتحامـــه ، لكـــنهم نجحـــوا فـــي إقنـــاع أحـــد الحـــراس المرتشـــين بتهريبهـــا إلـــيهم مقابل مبلغ كبير من المال .

(و هـــل إســـتطعتم اخراجهـــا مـــن هـــذا السجن اللعين ؟)

(بالتأكيـد يـا سـيد جوهـان ، و يـا ليتنـا لـم نخرجها ؟)

(يا ليتكم لم تخرجوها ؟ لماذا ؟)

كـــان مـــاركوس حينهـــا يعتصـــر ألمـــا و هـــو يـــروي قصـــة إخـــراج أختـــه مـــن هـــذا الســـجن للســـيد جوهـــان و زوجتـــه الســـيدة هيلغـــا ســـيما بعـــدما إكتشـــفوا أن مـــن تـــولى تعـــذيبها و ســـلخ جلـــدها هـــو زوجهـــا و إبـــن عمهـــا روميـــرو الـــذي كـــان يعمـــل ضـــابطا فـــي الشـــرطة الســـرية و صـــحفي فـــي العلـــن للتجســـس علـــى الصـــحفيين و الناشـــطين السياســـيين الشـــباب

و مـــدى ولاءهـــم للنظـــام العســـكري الحـــاكم بـــل إنـــه مـــا إن علـــم بمحاولـــة تهريبهـــا حتـــى حـاول بكـل مـا أوتـي مـن قـوة أن يمـنعهم مـن ذلـك وصـل إلـى حـد إطـلاق الرصـاص علـى ســـيلفيا بـــثلاث رصاصـــات قاتلـــة إخترقـــت صـــدرها الضـــامر مـــن شـــدة التعـــذيب و إخترقـــت ســـاق والـــدها أيضـــا قبـــل أن يـــردي إبـــن أخيـــه روميـــرو قتـــيلا ضـــربا بقضـــيب مجـــوف حتـــى المـــوت ليفـــروا جميعـــا إثـــر إنطـــلاق أجـــراس الإنـــذار ، فلقـــد كانـــت ســـيلفيا عاريـــة شـــبه مشـــوهة و محطمـــة تغطيهـــا الـــدماء و الجـــروح مـــن كـــل ناحيـــة ، إضـــافة إلـــى إختفـــاء عظـــام ســـاقيها تمامـــا ، و

كـان أسـتكو يتفطـر مـن شـدة الحـزن و الألـم عليهـا و زاد حـدة حينمـا سـمع كلماتهـا الأخيرة قبيل وفاتها المفاجئة :

(أبـي ، لا أريـدك أن تغضـب منـي ، فأنـا لـم أكـن أعـرف أن زوجـي روميـرو عميـل للعسـكر أو يتـآمر علـي لكـي أقـع فـي الفـخ ، فهـو الـذي حرضـني للـدخول إلـى حـزب اليسـار الإمريكـي لأنـه عضـو مؤسـس فيـه كمـا أخبرنـي ، يبـدو أن مأسـاة أمـي كانـت تلاحقنـي حتـى بعـدما شـفيت منهـا تمامـا ، فسامحني يا أبي على ما فعلته بك)

لينفجـروا جميعـا حزنـا و ألمـا و غضـبا عليهـا و دون أن يبـالوا بـالجنود المـدججين الـذين

إنـــدفعوا نحـــو منـــزلهم لتنـــدلع معركـــة داميـــة ســـريعة تنتهـــي بمقتـــل أســـتكو و ثلاثـــة مـــن أولاده و خمســـــة مـــــن الجنـــــود و جـــــرح مـــاركوس و زعـــيم القـــوة العســـكرية الـــذي إعتقلـــه إلـــى الســـجن إثـــر إســـتدعائه تعزيـــزات لـــدعم الموقـــف و ليحملـــوا معهـــم جثـــامين القتلـــى بمـــن فـــيهم والـــده و شـــقيقيه ســـيلفيا و بيدرو .

(٥)

و بعدما حكم عليه بالسجن مدى الحياة بتهمة التستر على مجرم و التعاون مع خلايا إرهابية كما يزعمون تم الإفراج عنه بعدما قضى أحد عشر عاما حبيس سجن أوباتونكا الرهيب متحملا كل الجرائم المرتكبة بحقه من تعذيب سادي و فاشي جسديا و معنويا بموجب عفو أصدرته أول حكومة ديمقراطية أنهت الحكم العسكري عام ١٩٨٥م دون أن يبالي بهذا الإنفراج النسبي الذي شهدته البلاد مؤخرا ، فسرعان ما عمت الفوضى مجددا أعمدة الحكم عبر الثورات

الشعبية التي قاد معظمها أبناء جلدته من الأنكا[٧] الفقراء و لاسيما بعد محاولة السلطات حظر زراعة نبتة الكوكا التي يصنع منها مادة الكوكايين المخدرة أواخر عام ١٩٨٩م التي يعتاش من زراعتها نصف سكان بوليفيا و جارتها بيرو ، كما أنه لم يكترث بمعاهدة الصداقة البرازيلية – البوليفية التي أدت إلى تأهل البرازيل على حساب بلده في تصفيات كأس العالم المنعقدة في إيطاليا و لا بالزلزال المدمر الذي ضرب معظم بلدان غورانيا جنوب جبال الأنديز عام ١٩٩٤م و من

[٧] الأنكا هو سكان بوليفيا و بيرو و تشيلي الأصليين و مازالوا يشكلون غالبية السكان في بوليفيا و بيرو إلى حد الآن و هم ما تبقى من سكان إمبراطورية الأنكا التي قامت في كوزكو ببيرو منتصف القرن الرابع الميلادي (المؤلف)

بينهـا قريتـه الرابيـة الرماديـة التـي دفعتـه إلـى الـذهاب إليهـا و إنقـاذ مـا يمكـن إنقـاذه قبـل أن يقـيم بهـا و فـي منـزل جـده القـديم الواقـع علـى سـفح غابـة الصـنوبر و يعمـل مرشـدا سـياحيا لصـالح شـركة أنـديكانا للسـياحة الريفيـة و ينقـل جثـامين والـده و إخوتـه إلـى الباحـة الخلفيـة التابعـة لهـا ..... و غيرهـا مـن الأحـداث التـي كانـت تحـدث فـي يـوم الخمـيس مـن كـل أسـبوع ، فيبـدو أن بلـده بوليفيـا لـم يتحـرر بعـد مـن لعنـة الأشـباح السـبعة التـي كانـت محصـورة فـي قريتـه مـن قبـل ليضـحى واد متحجـر تخـيم بظلالهـا المرعبـة و المشـؤومة و التـي حولـت بشـرها

قبل حجرها إلى أصنام متحركة لا قلب لها و لا روح .

و بعدما روى قصته العجيبة و الغريبة للسياح و بعد أن هدأت العاصفة و الأمطار الغزيرة نجح في إعادتهم إلى مقر الشركة الفرعي بأستيكورا و يعود سعيدا إلى بيته و قريته المهجورة مدركا في قرارة نفسه أن أفضل طريقة لمقاومة الأشباح السبعة حسب رأيه هو التعايش معها و مواجهتها بالنسيان الكامل و التفاؤل العارم للحياة مما جعله يغني أغنية الفنان اليمني فارس الشيباني بالفرنسية التي

تعلمهـــا مـــن شـــقيقته الصـــغيرة ســـيلفيا و التـــي تقول :

(بين البحر و الأرض	(entre le mer et la Terre
سيكون موتك لا محالة	Il sera la mourire
فلابد أن تبتسم	Il faut sourire
من أجل الجمال و الحب	Pour la belle et l'amor
فهما المستقبل	Ils sont la future
و هما غاية السعادة	Ils sont tout pleasure
من أجل الحياة و الموت	Pour la vie et la mort
من أجل الغد	Pour domain

millieur	الأفضل
Il faut pessimistic trop	فيجب أخيرا أن تكون بقمة التفاؤل
Nous sommes humans	فنحن بشر
Nous aimerons la droit et bien	نحب الخير و الحق
Nous aimerons la mal et sang	و نحب الشر و الدم
Quelque chose on nous fait vivants)	و أي شيء يجعلنا أحياء)

(النـــــــــهايـــــــــة)

صنعاء

شارع المطار – حارة الكبسي –

خلف مطابع الكتاب المدرسي

ت : ٧٧٠٠٩٨٤٠٧